الإسلام) وهيَ بارجوزة تعليمية ، أرخ فيها تاريخ العرب ، حتى نهاية العصر الفاطمي
كتب مسرحيته النثرية الوحيدة (أميرة الأندلس) .

ما بعد المنفى ١٩١٩ـ ١٩٣٢

عاد شوقي من منفاه بالأندلس ، وعادت معه حريته التي فقدها في قصر
وعباس وكان أول قصيدة قالها بحق وطنه ، بعنوان (بعدَ المنفى) وقد أعلن فيها
الدافئ ومشاعره العميقة فقال :

ويـاوطنـي لقيـتـك بعـد يـأسٍ كـأنـي قـد لقـيـت بـك الـ
أديـر الـيـك قـبـل الـبـيـت وجهـي * إذا فـهـت الـشـهـادة والـ

وفي القصيدة ، يتحسّس هموم الشعب ، فيتحدث عن مشاكل التموين
التجار ، وفيها تحوّل خطير واضح في موضوع القصيدة الشوقية .

وتتوالى قصائده الموضوعية ، سياسية واجتماعية وتربوية وخُلقية ، حتى
أشبه بقصائد المناسبات . وهيَ في الحق لا تبتعد عن هذه الروح .

وإذا كان موضوع هذه القصائد قد سقط كثير منه في وهاد التقريرية والمبا
لا عمق فيه بسبب طبيعته الموضوعية ، إلا أن المبدأ الذي يقوم عليه موضوع تلك الق
ينتمي إلى واقعية صحيحة ، تتصل بحاجة الأمّة ، وتُلبي آمال الجمهور ، وتنض
عواطف الناس فتُجسد طموحاتهم ، وتصور تطلعاتهم ، وتعبر عمّا يختلج في نفوس
أماني وطنية . ومقاصد اجتماعية ومعانٍ تربوية . وهكذا راح شوقي يدلي بدلوه مع
حافظ والرصافي والزهاوي والجواهري ، وغيرهم مِمّن استمدوا موضوعاتهم من
الناس ، وحاجات الجمهور .

وسارت قصائده في هذا التيار ، فإذا هو ينقد المشاريع الاستثمارية التي تح
كرامة بلده . وحين يرى أحزاب الأمّة يختلف مع بعض البعض الآخر ، يدعو إلى الو

الوطنية . وراح يؤلف الأناشيد الوطنية ليُحمس الشباب ويستنفر وطنيتهم . وتسابقت الصحف إلى نشر قصائده ، وتسابق معها أبناء الشعب ليقرأ ما ينظمه الشاعر العائد إلى أرض الوطن .

ولم تقف جهود شوقي الشعرية في تلك الفترة على التعبير عن حاجات الشعب المصري وتُجسد أمانيه ، وإنما تجاوزتها إلى الأقطار العربية الأخرى ، يُغني لها أناشيد النصر ، وينشد أغاني الحماسة ، فيفرح لفرحها ، ويأس لأساها ، فحين ضُربت دمشق بمدافع الفرنسيين . نظم قصيدته ألتي ألقاها في المجمع العلمي العربي فيقول :

قم ناج جلق وأنشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم أحداثٌ وأزمان

ومِمّا ورد فيها :

لولا دمشقٍ لما كانت طليطلة ... ولا زهت ببني العباس بغدان

وشوقي في قصائده الوطنية بعيد العمق ، واضح الاتجاه والأبعاد ، دقيق النظر في ما يجرى في أمته وحول أمته ، لذلك كان يُلبِي ما تضمره الأمة من مشاعر وأحاسيس ، وما تنادي به من أهداف وشعارات ، وما تحتاج اليه في طرد الغزاة وتوحيد الصفوف فراح في شعره يؤكد أماني الشعب ويُجسد أحلامهم في الوحدة والنضال فيقول :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحمٍ ... ونحن في الجرح والآلام إخوان

بنو سورية أطرحوا الأماني ... وألقوا عنكم الأحلام ألفوا

نصحت ونحن مختلفون داراً ... ولكن كلنا في الهم شرق

ويجمعنا إذا اختلفت بلاد ... بيان غير مختلف ونطق

وللأوطان في دم كل حرٍ ... يدٌ سلفت ودينٌ مستحق

تلك هيَ أحلام السوريين وكل العرب ، الوحدة والنضال والتفاني والبذل .

رجوعه من المنفى بخاصته الفنية المُميزة له ، وهيَ أن يكون شاعر غيره)[١] .

وفي مرحلة ما بعد المنفى ، تفرغ شوقي إلى كتابة مسرحياته الشعرية ، ونظم على لسان الحيوان ، وبهذا يضيف إلى شعرنا الحديث ما يثريه ويُنمي أصوله .

وهكذا تتميز هذه المرحلة بالنسبة لشوْقي ، بالإنتاج الثر ، وبتطور الموضوعات الشعرية ، وبالتفاته إلى ما كان يحلُم به أدبنا العربي في كتابه الشعر التمثيلي . بل لعل ذلك كان من أحلامه التي راودته في مستهل حياته الأدبية فإذا هي تتحقق له كما تحققت لأدب أمته .

وفي سنتيهِ الأخيرتين ، ألمّت بشوقي الأمراض ، ولكنها لم تقف بينه وبين إنتاجه وتثقفه إذ تفرَغ في أشهره الأخيرة إلى قراءة القرآن الكريم وكُتب الحديث النبوي الشريف وكُتب الغزالي ـ وكُتب التاريخ ، حتى وافاه الأجل في الشهر العاشر من سنة ١٩٣٢.

روافد الثقافة :

حين دفع بشوقي إلى التعلم في سنه الرابعة ، كان يضيق بالكتاب الذي أضطرَ إليه . ولكنه ما لبث أن أنتقل إلى مدارس المدينة ، لينتهي منها في سن مبكرة ويلتحق بالحقوق

ومِمّا له صلة بثقافته ، تأثره ببعض المذاهب الأدبية التي شاعت من قبله وفي زمانه والتي بدا أنه تأثر ببعضها تأثراً مُباشراً وخاصة في مسرحياته ، فقد كان للمذهب الكلاسيكي والرومانتيكي على الخصوص تأثيرهما في تلك المسرحيات .

وفيما عدا الفرنسية ، كان شوقي يعرف التركية ، لكن أثرها لم يتضح في شعره . وعلى الرغم من أتساع ثقافته الأجنبية ، فلم تتصل هذه الثقافة لديه إلاّ بما ينسجم مع روحه المحافظة وتياره الكلاسيكي ، ولو كان قد أتصل أتصالاً شديداً بالثقافة الفرنسية الجديدة . لكان تأثيره في أدبنا الحديث أكثر مِمّا وجدنا ، إذ أن الشاعر قد وضع الجسور بين أدبنا الحديث المتمثل بجهوده هو وبين الأدب الفرنسي ، ولكنها كانت جسوراً واهية لا تمتلك القوة . ولقد ألمح طه حسين إلى هذه الناحية حين قال (وكذلك كان تجديد شوقي متأثراً بهذا الخط من الثقافة الفرنسية ، أي أنه كان يتأثر بالقديم الفرنسي أكثر مِمّا كان يتأثر بالجديد)[1] .

تلك كانت روافد شوقي مع ثقافته الواسعة ، واتجاهاتها البعيدة المختلفة ، وهيَ مهما كانت ـ في جانبها الأدبي فقد حققت لصاحبها مجده الأدبي ، خصوصاً في تلك الفنون التي لم يألفها أدبنا من قبل ، وكان لشاعرنا فضل ريادتها .

ميادين الشعر :

مرّت حياة شوقي بِثلاث مراحل مختلفة ، تباينت معها ظروف حياته ، فمن أجواء القصر إلى حياة المنفى ، وأخيراً إلى صفوف الشعب .

وانعكست ظروف كل مرحلة في شعره انعكاساً يميزه مِمّا قبله ، ويفصله عمّا بعده . وشعر شوقي ـ كما أسلفنا ـ كان رهن ظروفه المختلفة التي أثرت في موضوعاته ومعانيه ولُغته وحتى في صدقه الشعوري والفني . فقد وقف شعره في مرحلة القصر على أنواع من المدائح وعلى الشعر التاريخي والوصف والغزل والخمرة ، بينما لهج الشاعر بموضوعات

ينمو بعضها من بعض في وحدة موضوعية متكاملة ، تكاد تشكل بعض مقاطعها ، وحدة عضوية إذ يأخذ بعضها بعناق بعض عبر أفكار مسلسلة يربطها خيط فكري متين .

والقصيدة تتشكّل من محاور منسقة منظمة ، لكن أجمل محاورها هو المحور الذي يرسم فيه شوقي صورة لاحتفال المصريين بنداء النيل ، حيث تتطوع في كل سنة أجمل بنات مصر لهذا النداء ، وفي هذه الصورة الكبيرة يقول الشاعر .

ونجيبة بين الطفولة والصبا ... عذراء تشربها العقول وتعلق
كان الزفاف اليك غاية حظها ... والحظ أن بلغ النهاية موبق
لاقيت أعراساً ولاقت مآتماً ... كالشيخ ينعم بالفتاة وتزهق

في كلّ عامٍ درةٍ تلقي بلا ... ثمنٍ إليك وحرةً لا تصدق
إن زوجوك بهي فهي عقيدةٌ ... ومن العقائد ما يلب ويحمق
زفت إلى ملك الملوك يحثها ... دينٌ ويدفعها هوى وتشوق
ولربما حسدت عليك مكانها ... ترب تمسح بالعروس وتحدق
بحلوةٍ في الفلك يحدو فلكها ... بالشاطئين مزغردٍ ومصفق
في بهرجانٍ هزّت الدنيا به ... أعطافها واختال فيه المشرق
فرعون تحت لوائه وبناته ... يجري بهنَ على السفين الزورق
حتى إذا بلغت مواكبها المدى ... وجرى لغاية القضاء الأسبق
وكسا سماء المهرجان أجلاله ... سيف المنية وهو ضلت يبرق
وتلفتت في اليم كل سفينةٍ ... وانثال بالوادي الجموع وحدقوا
القت اليك بنفسها ونفيسها ... وأتتك شيقة حواها شيق
خلعت عليك حياءها وحياتها ... أأعز من هذين شيءٍ ينفق